دراسات فی العلوم الانسانیه
۲۴(۱)، ۱۴۳۹/۱۳۹۶/۲۰۱۷، صص۱۰۳-۱۲۱
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir/

ملامح تأثّر جورج سالم بأفكار كافكا الوجودية في رواية «في المنفى»

منيرة زيبائي*

أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية في مشهد، مشهد، ايران

تاريخ الوصول: ۱۴۳۷/۶/۳ تاريخ القبول: ۱۴۳۸/۷/۲۶

الملخص

تعتبر روايات كافكا من الأعمال الغربية التي تَعرّفَ عبرها الأدبُ العربي المعاصر على الفلسفة الوجودية ومبادئها. جورج سالم من الكتّاب السوريين المتأثّرين بالوجودية، قرأ روايات كافكا وتأثّر بأفكاره في روايته «في المنفى». قد تولّى بحثنا تتبّع هذه الأفكار في رواية سالم وتسليط الضوء عليها. فيدرس بمنهج وصفي ـ تحليلي، رواية «في المنفى» فيقوم على ذكر نماذج من نصّ الرواية ودرسها من حيثحضور المفاهيم الوجودية فيها ثمّ يحاول مطابقتها لروايات كافكا. وانطلاقاً من ذلك، فإنّه يرمي إلى تبيين ملامح تأثّر سالم بأعمال كافكا وأفكاره الوجودية. ونتائج هذه الدراسة تدلّ على أنّ سالم يرى الإنسان مُلقىً في عالم الوجود دون أىّ اختيار بحيثيكتشف نفسه في وضع أو حالة محدّدة. فبالتركيز على فكرة «الارتماء» الوجوديةيؤكّد رواية «القلعة» لكافكا في القسم الأوّل من روايته، وفي القسم الثاني يصوّر فكرة «الآخر وهيمنته على الفرد» عبر شخصيات الرواية وباعتماده على هذه الثيمةيؤكد تأثّره برواية «المحاكمة» لكافكا. وكما هو الشأن لدى كافكا، يعكس سالم في روايته «في المنفى» مرتكزات وجودية أخرى كفكرة الخطيئة الأولى، والشعور بالذنب الناتج عنه، والاغتراب، والغربة الروحية للإنسان.

الكلمات الرئيسة:الأفكار الوجودية، جورج سالم، في المنفى، كافكا، الارتماء.

* الكاتب المسؤول: E-mail: Monireh.zibayi@yahoo.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

المقدمة

الوجودية هي من أحدث المدارس الفكرية الغربية والتي تعكس القلق والتذبذب الناتجين إثر الحربين العالميتين الأولى والثانية وهي التي لها تأثير كبير وأساسي في الأدب العالمي. وإثر دخول هذه المدرسة في الأدب نرى أن الفلسفة قد دخلت في الأدب بشكل ملموس وتبلورت في كتابات جان بول سارتر[1] (١٩٠٥ . ١٩٨٠)، و سيمون دي بوفوار[2] (١٩٠٨ . ١٩٨٦)، وفرانز كافكا[3] (١٨٨٣-١٩٢٤)، وألبير كامو[4] (١٩١٣ . ١٩٦٠)، ودوستويفسكي[5] (١٨٢١ . ١٨٨١) وغيرهم من الأدباء الغربيين. (بدوي، ١٩٨٠: ٢٥)

ولمّا نعيد النظر في كتب أبرز ممثّلي الأدب الوجودي، نرى أنهم ركّزوا في كتاباتهم على مفاهيم كأصالة وجود الإنسان، والكينونة بمعنى الحياة في الزمن الراهن، وتحمّل المسؤولية تجاه مصير الكون والذات، والقلق الوجودي، والتشرّد، والغربة، والكآبة، والموت، والخطأ. (ورنو والآخرون،١٣٧٢: ٩٧٧) على سبيل التمثيل يتطرّق سارتر في كثير من أعماله إلى مسألة الموت وعلاقته بالوجود والعدم، ومسألة الحرّية، ومسألة التزام ومسؤولية الإنسان. والثيمة في روايات كامو هي فكرة الموت والعدمية. وبالنسبة إلى كافكا فإن الشعور بالعجز والوحدة، والعزلة، وسلطة الآخر على الإنسان، وعدم الأمن للبشر، والارتماء والشرود الوجودي، والشعور بالذنب الناتج عن مسؤولية الاختيار، والقلق، وحبكة الغربة المهيمنة على الروايات، فإنّ كلّ هذه الأمور تعتبر تجليات واضحة للوجودية والفكر الوجودي في أعماله. فنظراً إلى تمحور الإنسان ووجوده في الأدب الوجودي، يمكننا القول بـ «أنّ إعادة تعريف الإنسان والتوجّه نحو الفردية في الروايات، هما من أبرز إنجازات الوجودية للأدب.» (قبادي و توماجنيا، ١٣٨٦: ٣٩)

وعندما دخلت الأفكار الوجودية في الأدب العربي المعاصر عبر الترجمة والاقتباس، قد التفت الكتّاب والمفكّرون العرب من سوريا ولبنان وأردن وفلسطين وإلى حدّ ما العراق ومصر، إلى كتب الغربيين ولاسيّما فرانز كافكا. (ابن ذريل،١٩٧٣: ٣١) من هؤلاء الكتّاب العرب يمكننا الإشارة إلى جورج سالم الكاتب السوري الذي بسبب تعرّفه على الأدب الغربي، قد تأثّر كثيراً في روايته «في المنفى» بأعمال كافكا وبوجه خاص بروايتيه: «المحاكمة» و «القلعة».

يهدف هذا المقال إلى دراسة مسار الفكر لدى كافكا وتتبُّعه في رواية «في المنفى» ويحاول تسليط الضوء على مدى اهتمام سالم بروايتى كافكا: المحاكمة والقلعة وبالمقوّمات الوجودية المنعكسة فيهما. فبهذا الصدد، بعد إلقاء نظرة عابرة على السيرة الذاتية لسالم وكافكا، وتعريف مؤلفاتهما المحددة للدراسة، يتطرّق في ضوء منهج تحليلي . وصفي، إلى مرتكزات وأفكار وجودية برزت في رواية سالم، ثم يدرس ويقارن ملامحَها بما تَمثّلَ في روايتى كافكا. واعتمادنا في هذا الإطار يقوم على ذكر نماذج من النصّ وتحليلها.

1. Jean-Paul Sartre
2. Simone de Beauvoir
3. Franz Kafka
4. Albert Camus
5. Dostoevsky

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

وأما السؤالان اللذان نحاول الإجابة عنهما في هذا المقال فهما:

أولاً؛ ما هي الأفكار الوجودية التي انعكست في روايتى كافكا «المحاكمة» و «القلعة»؟

ثانياً؛ كيف تعكس رواية «في المنفى» تأثّر كاتبها بكافكا؟

وتقوم الفرضيات على:

أولاً؛ قضية سقوط الإنسان إلى هذا العالم دون اختياره، الذنب وصلته غيرالمنفصلة بالوجود الإنساني، سلطة الآخر على الفرد في العلاقات الإنسانية، واغتراب الإنسان وصلته بالوجود الزائف لديه، كلّها هي المرتكزات الوجودية التي تمثّلت في روايتَى كافكا.

ثانياً؛ إنّ رواية في المنفى تعكس تأثّر سالم بكافكا من خلال عوالمها والمواضيع التي تعالجها كفكرة الارتماء، الخطيئة الأولى والشعور بالذنب الناتج عنها، سلطة الآخر على البطل وظهور الأزمة، والوجود الزائف والشعور بالاغتراب.

أما فيمايتعلق بخلفية البحث فيمكن بالنسبة إلى كافكا، الاهتداء إلى أفكاره وآراءه عن طريق الكتب والدراسات العديدة التي أُجريت حوله. ومن النماذج الجيّدة التي تساعدنا على نيل هذه الغاية، كتاب «جولة في عالم كافكا» لسياوش جمادي، و «قياس الفنّ والفكر لدى فرانز كافكا» لوالتر سوكيل أو كتاب «كافكا؛ راوي المأساة الحديثة» حيث يعمد فيه المؤلّف إلى تحليل المفاهيم الرئيسية لعالم كافكا القصصي والتجريدي. كما أنّ هناك كتباً وأبحاثاً تناولت أعمال كافكا بالدراسة والنقد من وجهات نظر مختلفة، إمّا بإفراد فصل مستقلّ لها أو على سبيل التعريض، ونذكر من بينها: كتاب «رسالة كافكا» لصادق هدايت وهو تحليل لأعمال كافكا، وكتاب «الاغتراب في أعمال كافكا وتأثيره على الأدب الفارسي الحديث» لمحمود فلكي، و «نقد أعمال كافكا» لغريغور روى ونقَله إلى الفارسية مقصود خدايارى، ومقالات «الدراسة السيميائيّة لقصة غراكوس الصيّاد»،و «نظرة وجودية إلى المسخ لكافكا والكلب الضالّ لصادق هدايت»، ومقال «التناصّ بين قصة المسخ لكافكا والبومة العمياء» لصادق هدايت.

أمّا فيما يتعلّق بقصص جورج سالمفالدراسات عنها قليلةمنها مقال «دراسة مظاهر الفلسفة الوجودية» حيث يتطرّق إلى التنقيب عن عناصر هذا التيّار الأدبي في مجموعة قصصية للكاتب بعنوان «حوار الصمّ»، ومقال آخر قد نشر في مجلة الدراسات القصصيّة وهو يدرسُ رواية «في المنفى» من منظار التيّار الأدبي المسمّيب «قصة الموقع». وفي الحقل العربي، من أهمّ الأبحاث التي خُصّصت لرواية «في المنفى» لسالم، مقال موريس جانحي بعنوان: «قراءة جديدة لرواية في المنفى» والذي يدرس هذه الرواية من الجانب الاجتماعي، وفيهيعترف الكاتب أنّه لم يجد روح كافكا في رواية «في المنفى» خلافاً لِما نؤمن به في مقالتنا، ودراسة مقتضبة مفيدة قام بها حسام الخطيب في كتابه «سبل المؤثّرات الأجنبيّة وأشكالها في القصّة السوريّة» وهي نظرة شاملة إلى هذه الرواية، وأطروحة الدكتوراه لمجيد محمدي دراسة أخرى مرتبطة، قد تطرّقت إلى الوجودية وانعكاساتها في الأدب الروائي العربي المعاصر إلّا أنّها جعلت أعمال سهيل إدريس ومطاع صفدي بموضع الاهتمام. بناءعلى ذلك، وكما يتبيّن، إنّ الدراسات القيّمة السابقة لم تتناول انعكاسات أفكار كافكا بالبحث ولم تدرسها دراسة مستقلّة وإلى حدّ ما متعمّقة في رواية «في المنفى» لجورج سالم. وهذا ما تولّاه هذا المقال ويحاول تبيين تأثّر سالم بالأفكار

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

الوجودية التي ينادي بها كافكا من ضمن روايتيه المحاكمة والقلعة.

١.نبذة عن حياة سالم وكافكا

١-١. جورج سالم

إنّ جورج سالم (١٩٣٣-١٩٧٦) يعتبر من رواد التجديد في القصّة السورية في منتصف القرن العشرين، ومن خلال التأثير والتفاعل مع الأدب الأروبي المعاصر، استطاع نقل الفلسفة الوجودية إلى مجال الحياة عبر قصصه. (فونتين، ١٩٩٠: ٤٦) إنّه وبعد حصوله على الإجازة في اللغة العربية من جامعة دمشق عام ١٩٥٥، عمل في مجال التدريس، وتولّى إدارة المركز الثقافي بحلب كما ترأس رابطة الكُتّاب العرب. قام بعدد من الدراسات النقدية عن اللغة العربية إضافة إلى تأليف العديد من المجموعات القصصية كحوار الصمّ، الرحيل، عزف منفرد على الكمان، ... ورواية«في المنفى»، كما ترجم إلى العربية أعمالاً للكُتّاب الغربيين من أمثال ألبير كامو، سان اكسوبري، أوغست سترونبرغ. (م.س:٤٢)

١-٢. كافكا

وُلد فرانز كافكا (١٩٢٤-١٨٨٣) الكاتب التشيكي الأصل والألماني اللغة، في براغ، وبعد أن أكمل دراسته عاش فترة من الزمن مع عائلته. (قربانى، ١٣٧٥: ٨٥٨) يعتقد كافكا أنّ الإنسان مجبولٌ على الانفعال وهذا ناتجٌ عن العيش في الغربة المرافقة طبعاً بالخيبات وعدم الاستقرار لا غير. (امينى،١٣٨٦: ٢٩) إنتشرت أغلب أعماله بواسطة صديقه ماكس برود[1] (١٨٨٤-١٩٦٨) بعد وفاته يمكننا الإشارة إلى أبرزها: روايات «المحاكمة»، «القلعة»، «أمريكا»، والقصّة الشهيرة «المسخ».

٢. روايات الدراسة

٢-١.في المنفى لجورج سالم

رواية «في المنفى» لجورج سالم، من الأعمال الرمزية التي تتناول فى القسمين، مشكلةَ الغربة الروحية للإنسان وإغترابه في إطار مفهوم البراءة والخطيئة الأولى. (الخطيب، ١٩٩١: ١٤١) نقرأ في هذه الرواية قصة معلّم تمّ نفيه إلى قرية نائية تحكم بين أهلها علاقات جامدة وخالية من أصر التواصل والعاطفة والمحبة؛ عمدة هذه القرية الصغيرة شخص مستبدّ ومجهول لا يُستشعر وجوده الواقعي في القصّة ولكنّ جميع الأمور تعود إليه في نهاية المطاف. في القرية ووسط الحوادث الغريبة التي يواجهها المعلم يغرق أحد الطلبة في النهر ويُعتقل المعلم بتهمة أنه كان يتجوّل مع الطالب ذات مرة بالقرب من النهر فيُرجم في منطقة بعيدة. رمزية هذا العملتفتح الأبواب واسعة أمام تفاسير مختلفة لكنيبدو أنّ محور القصّة الأساسي قائمٌ على أنّ عناصر السلطة أو الحقيقة أو الحبّ محصورة في أشخاص مجهولين وعديمى الكفاءة.

1. Max Brod

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

٢-٢.روايات فرانز كافكا

ما يثير الانتباه في أعمال كافكا الأدبية أنّ نتاجه الفنّي وليد أفكاره وترجمة لانعكاسات عوالمه الباطنية؛ مواقف أبطال كافكا والتي تُظهر الحيرة، التردد، البؤس وعدم الاستقرار الحقيقي لدى البشر، تعكس أفكار الكاتب التي تُعبّر عن تقدير مسبق للحياة البشرية. أبطال كافكا يعيشون حياتهم في نوع من الغربة والعزلة، لا يملكون أيّ وطن حقيقيٍ يمكنهم أن يقلّلوا فيه من وطأة معاناتهم المشلّة وتحمّل مشقّة عيشهم. فهؤلاء إمّا يواجهون نهاياتِهم أمام بوابات المحاكم والقانون أو يتيهون بين الحياة والموت ولا يصلون إلى الراحة أبداً. في الحقيقة في أيّ قصة يموت فيها البطل، يؤكّد كافكا على ما يعتقد به عن مصير الأبرياء الذينيموتون بلا أيّ مُبرّر. (امينى، ١٣٨٦: ٣١-٢٩)

والموت يُعتبر من أبرز المواضيع والثيّمات لأعمال كافكا الأدبية. لا يملكأغلب أبطال كافكا مصيراً غير الموت وأحيانا تكون هول الصدمة بشكل يُعتبر فيها الموت نوعاً من الخلاص والراحة. في الحقيقة، إنّ الحُزن كامنٌ في نهايات أعمال كافكا. من الخصائص الأخرى لأعمال كافكا هي اللامكانية؛ عالم غير مرئي متّصل بسلاسل أرضية وسماوية تكبّل الإنسان وتجرّه بهذه السلاسل من الداخل والخارج كما أنّ محاولات الإنسان الحقيرة وسط هذه السلاسل اللامرئية والواقعية في نفس الوقت، هي جانب آخر من رؤية كافكا في أعماله. (عباسپور، ١٣٨٣: ٥٧-٥٢)

٢-٢-١.المحاكمة

رواية المحاكمة تبدأ باعتقال الموظف الكبير في المصرف «جوزيف. ك» من قبل شخصين مجهولين. «جوزيف. ك» يشعر بعدم القدرة على مواجهة هيئة إدارية مليئة بالأسرار وحرسٍ لعالم من القوانين ليخلق في داخله نوع من الشعور بالذنب هو إنعكاسٌ لتجارب الكاتب في حدّ ذاتها. بالنهاية وبعد محاولاته المستمرة لإثبات برائته، يُحكم عليه بالإعدام. على كلّ حال فإنّ «رواية المحاكمة وصف لمجتمع يرى الاستسلام والطاعة لسلطة القدر المحتّم هو الطريق الوحيد لخلاص البشرية» (خانلري، ١٣٧٥: ٨٨١)، وتبيّن مفاسد عبّرت عنها جميع أعمال كافكا الأدبية كونها مخاوف كافكا الأساسية. استطاع هذا العمل أن يعكس وبطريقة جيدة القلق، الحقارة واللامرجعية الحاضرة لدى الإنسان المعاصر في حدود عالم الطبيعة وماوراء الطبيعة. (عباسپور، ١٣٨٣: ١٠٥)

٢-٢-٢.القلعة

في رواية القلعة، «ك» والذي دُعي إلى قصر «كونت» لأخذ مسح ومخططات له، لم يستطع الدخول إلى القصر بسبب القوّة العجيبة لقصر «كونت» المليء بالأسرار والتي تتحكّم بكلّ شيء هناك. في هذا العمل «يعتبر القصر رمزاً قادراً على أن يكون علامة لقوة ماوراء طبيعية، أو اللاشعور في الإنسان أو رمزاً للاستبداد الأبوي.» (جمادي، ١٣٨٢: ١٩٣) وما مقاومة «ك» تجاه القصر إلّا صورة لمحاولة الإنسان المعاصر فيخلقذاته وتجسيد لفشلهالنهائي في هذا الطريق. (أميني، ١٣٨٦: ٢٢) بعبارة أخرى، فإنّ القصر، صورة أخرى لتجاوز الـ: «أنا» النفسية نحو المجموعة ونحو آفاق بعيدة عن الـ: «أنا» وقريبة من الآخر. هي صراع مع المرجعية المقنّنة للمجتمع من جهة والمتوسّلة إليه من جهة أخرى وكما يقول

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

ماكس برود: «إنّ القصر قصيدة مثيرة لغريبٍ لا وطن له يسعى عابثاً أن يختار وطناً لنفسه.» (جمادي، ١٣٨٢: ٢١٠)

٣. كافكا وتأثيره في رواية «في المنفى» لجورج سالم

كافكا هو أحد كبار الكتّاب وتتضمّن أعماله مفاهيم في إطار الفلسفة الوجودية؛ إذ يحاول في رواية المحاكمة أن يظهر صورة حيّة ومعبّرة عن فكرة الارتماء؛ في رواية القلعة يجسّد وبأحسن صورة، الشعور الجديد بالضياع والحيرة الوجودية (مك‌كواري، ١٣٧٧: ٢٦٨) أو في قصص «المسخ»، «غراكوس الصيّاد» وقصص أخرى تناول فيها عبارات وأفكاراً وجوديّة.

معرفة سالم بأعمال كافكا الأدبية ودراستها كانت مقدّمة لتأثّره خاصّة بقصصٍ كالمحاكمة والقلعة ومن هنا يتّضح أنّه اعتمد على مفاهيم رواية القلعة لكافكا في الجزء الأوّل من عمله، ورواية المحاكمة في الجزء الثاني بدراية ويُعتبر تأثّر سالم بمضامين روايات كافكا دليلاً واضحاً على تأثير الأدب الغربي في القصص السورية. نسعى ومن خلال دراسة ومقارنة هذه الروايات، أن نعرض أفكار كافكا الوجوديّة ونبيّن مدى انعكاسها في رواية «في المنفى» لسالم.

٣. أفكار كافكا الوجودية في رواية «في المنفى»

٤-١. الارتماء

يطرح الجزء الأوّل من رواية في المنفى رؤية يطلق عليها الوجوديون إسم «الارتماء»[1]. «السقوط» أو «الارتماء» مصطلح يتعلق بمارتن هيدجر [2] (١٩٧٦-١٨٨٩) بشكل خاصّ وهو فيلسوف وجودي ألماني والذي يرى أنّ الإنسان قد أُسقطَ في عالم مجهول. (إلهي، بي‌تا: ١٣٠) بمعنى أنّ الإنسان ومن دون أن يختار لنفسه «الوجود» يُلقى ويتبلور ويتكوّن في وضع أو حالة خاصة. (مك‌كواري، ١٣٧٧: ١٩٣) هذه الفكرة ومع أنّها ملموسة في أغلب أعمال كافكا الأدبية إلّا أنّها تتجسّد بصورة في شخصية البطل في رواية جورج سالم فيما يبدو أنّها تتطابق مع ما جاء وشاهدناه في رواية القلعة لكافكا. بطل رواية سالم وهو معلم جديد يدخل القرية وبمجرد أن يقع نظره هناك يكلم نفسه قائلاً: «يَبدو أنَّها صغيرةٌ جدّاً بَل أصغَرُ مِمَّا وصفوها لي. شارعانِ كبيرانِ يتصالبان عند الساحة العامّة الواسعة.» (سالم،١٩٦٢: ٩) إنّه يعيد ترديد إعجابه في المقهى بهذا الشكل: «ما أغربَ هذه البلدة القائمة في هذا الرُكن القِصّي مِن العالم، لقد بحثتُ عنها في كُلِّ الخَرائط التي وَقَعَت تحت يَدَيّ فلم أرَ ذكراً لها فيها.» (م.س:١٢) وكأنّما حوادث ومجريات حياة بطل الرواية لا تعود إليه ولا حتّى المصير الذي قُدّر له هو الآخر جاء باختياره وقراره، وأنّ عليه أن يبدأ مسير حياته من هناك.

هذا المشهد يُعيدنا بالضبط إلى «ك» بطل كافكا في رواية القلعة والذي دخل القرية باعتباره «مسّاحاً»[3] للقصر وقد

1. Geworfenheit
2. Martin Heidegger
3. Surveyor that measure the land

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

رضخ هو الآخر لتلك الحياة التي غالباً ما أُرغم عليهبحوادثها وتماشى معها.

ظواهر غير اعتياديّة وغريبة في قرية سالم وكافكا: مِن شكل البيوت والشوارع، الناس ونظراتهم وأخلاقهم وتعاملهم وطريقة حديثهم، إلى موضوع الوظيفة ومراكز القوّة والسلطة؛ كلّها تظهر التشابه بين الروايات المدروسة بشكل أكبر. بالإضافة إلى هذا فإنّ هذا التشابه يمكن مشاهدته في فكرة الارتماء والتي على أساسها ينزل بطل رواية سالم بصورة عجيبة في القرية التي ربّما ليس لها وجود حقيقي ويقيم فيها.

الإنسان وبهذا الفكر الهيدجري لا يعلم ببدايته ونهايته ولا يدري أين كان وأين سيذهب ولأنّ هذا العلم يتعلّق بأمور ما وراء الطبيعة وغير قابلة للإثبات وعليها ستبقى مجهولة وسيبقى الخوف يسيطر على الإنسان ويستولي عليه. (إلهي، د.ت: ١٣٠) لهذا فإنّ من الأوجه المشتركة الأخرى بين رواية سالم ورواية كافكا هو وجود الخوف وأحاسيس أخرى مثل الحيرة، القلق، عدم الاستقرار، المعاناة والعذاب النفسي للبطل، اللامبالاة وعدم رغبة الآخرين للتواصل معه مع أنّه يميل إلى هذا كثيراً. «كان يَشعُرُ أنّ كلّ إنسان ممّن يراهُم أو يُصادِفُهم أشبه شيء بجدار كثيف لا سبيلَ إلى اختراقه». (سالم، ١٩٦٢: ٣١)

في الجزء الثاني من رواية «في المنفى»، يقدم المعلم على خطواتٍ ويواجه أموراً لا يُعرف سبب منعها بالنسبة للمخاطب أو حتّى بالنسبة له. هنا يتّضح صراعه ومواجهته لمراكز السلطة والتي ينتج عنها اعتقاله.

شخصية المعلم الباحث عن الحقيقة والذي لا يرضخ للمفاهيم المعيّنة مسبقاً ولا يقبل بالأنظمة المحددة وما يملى عليه، تشبه بالضبط شخصية «جوزيف. ك» الذي كان يجتهد ويسعى دائماً للمعرفة والاطّلاع على قضايا لا يحقّ لأحد الاطّلاع عليها إلّا كبار المسؤولين. يدخل المعلم الملهى خفيةً؛ يمرّ على المكتبة وينفض من عليها الغبار والأتربة؛ يتجوّل قرب النهر ويتعامل مع تلاميذه بلطف وحنان (صص ٥٢-٤٧) كلّ هذه الأمور طبعاً تخالف ما عليه القرية من أعراف ومظاهر أخلاقية، ما يؤدي إلى تشدّد في جرمه وذنبه وسوء حالته.

في رواية المحاكمة أيضاً يطأ البطل أماكن يُمنع الدخول إليها وهي محظورة؛ تحكي الرواية وبتفصيل كيف يدخل «جوزيف. ك» أروقة المحكمة السريّة وكيف أنّه يذهب من مكتبٍ إلى آخر بالسرّ ومن ثمّ يذهب إلى أحد الغُرف المهملة في الفندق ويطّلع على التعذيب السرّيّ لجنديين كانا قد اعتقلاه من قبل. يبحث «جوزيف. ك» وبإصرار عن أسباب تعذيبهما وبالنهاية يصل إلى نتيجة أنّه كان السبب في إفشاء سرّ علاقتهما بالمحكمة، وهو كان ما زاد من عبء ذنبه. إنّه يسعى وبأيّ وسيلة ولو بتقديم الرشوة أن يمنع تعذيب هذين الجنديين. (كافكا، ١٣٧٠: ٩٥-٦٥)

تتكرّر هذه المحظورات في رواية القلعة وعلاقتها ببطل الرواية. «ك» وهو يسعى للوصول إلى القصر لا حيلة له سوى لقاء «كِلام» أعلى مسؤول يمثّل القصر في القرية، يطلب من «فريدا» حبيبة كلام أن تأخذه له لكن فريدا ترى أن لقاء كِلام أمرٌ مستحيل: «هو لايحدّثك ولايحدّثني، هذا أمر مستحيل وغير ممكن تماماً.» (كافكا، د.ت: ٧٩) الأمر الذي يُعّد غير معروفٍ ولايمكن معرفة أسبابه. هكذا يقاوم أبطالُ سالم وكافكا -وبجرأةٍ- رموزَ السلطة والقوّة في الدوائر والمؤسسات مع أنّ هذه المقاومة دائماً ما تنتهي إلى فشل محاولات البطل.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

صحيح أنّ سالم كما هو كافكا في المحاكمة ربّما وبعرضه صورة أراد من خلالها أن يرى بطل الرواية امرأة كانت تجمعه بها علاقة عاطفية، للحظات قبل الموت ثمّ تختفي المرأة بعدها، أراد أن يقول إن كان هناك منقذٌ، فلا ينفع ذلك بعد الآن، ولكن هذا لا يعني انسحاب البطل من المقاومة طوال القصّة. بالضبط كما هو الحال لدى بطل كافكا في رواية القلعة وهو برغم الهزائم والخيبات المتتالية واصَلَ صراعه ومقاومته وبالأساس «فإنّ غايته الحقيقية هي المقاومة». (عباسپور،١٣٨٣: ١٤٢)

مع أنّ الجزء الثاني في رواية سالم يرتبط بفكرة سلطة وقدرة الآخر على الفرد، أكثر من فكرة الارتماء ولكن بما أنّ بطل الرواية وفي أول مقابلة له مع رمز السلطة، يرى نفسه في مواجهة شيءٍ لا مخرج له منه سوى الاستسلام والرضوخ، هنا تبرز فكرة الارتماء مرة أخرى. مثلما حصل في رواية المحاكمة حين أخبر الشُرطيَّين «جوزيف. ك» بأمر إلقاء القبض، حدث هذا الأمر لبطل سالم في بداية الجزء الثاني حين صدم المعلم وهو يرى شرطيَّين في غرفته وهما يقولان له: أنت مُعتقل: «نَظَرَ المعلِّمُ بدهشةٍ إلى هذين الجُنْديَين اللذَينِ اقْتَحَما عليه غرفتَهُ في الصَباح الباكر، وهو لمّا يَرتَدِ ثيابَهُ بَعدُ... وَإذْ امْتَدَّ الصَمْتُ مُدَّةً، رأى المعلِّمُ نفسَهُ يَقومُ فيرتدِي ثيابَهُ ويستعدُّ للذهاب، وأراد أنْ يَسْتَوْضِحَ منهما سِرَّ هذا التوقيف ولكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أمامهُ إلّا وَجْهَيْن صُلْبَيْنِ جامِدَيْنِ لايُمْكِنُ أنْ يُنَبِّئاهُ بشيء.» (سالم،١٩٦٢: ٨٧) هذا المشهد يشبه إلى حدٍ بعيد لحظة اعتقال «جوزيف. ك» حين لم يستطع أن يفهم سبب اعتقاله واتّهامه من الشرطيَينِ اللَذَينِ جاءا لاعتقاله.

بطل سالم وكما هو الحال لدى بطل كافكا، حين وجد نفسَه غيرَ قادرٍ على فعل شيء أمام أمر اعتقاله ومن ثمّ موته رضخ للمصير الذي كُتب له. يقول البطل في مكان ما في الرواية: «لَقَدْ جِئْتُ مُكْرَهاً إلى هذِهِ الْبَلْدَةِ، لَمْ يَسْتَشِرْنِي أحَدٌ فِي الْمَجِيءِ، وَهاأنَذا أذْهَبُ مُرْغَماً عَنْها، لَمْ يَسْتَشِرْنِي أحَدٌ فِي الذهابِ كَذلِكَ.» (م.س: ١٠٨) هذه المقولة، وفي النظرية الوجودية تبيّن حالتين رئيسيتين للإنسان أي الارتماء في جوف هذا العالم وخارجه. إنّ رقعة حرية الإنسان صغيرة جداً ومحدودة نظراً لهذه الحالات والمواقع الرئيسة، بمعنى أنّ الإنسان مرغم على المجيء إلى الدنيا ومرغم على الموت ومغادرتها. (احمدي،١٣٨٣: ٢٣٠) موت المعلم في هذه الرواية يشير إلى هذه النقطة، وتظهر أنّ هناك حقيقتين أساسيتين في حياة الإنسان: المجيء القسري للدنيا والموت قسرا.

وَكأنّما بطل سالم وكافكا قد اختيرا للعبة قد تمّ تعيين قواعدها من قبل ولا مجال لهما للابتعاد عنها. هما لاشعورياً يجدان نفسهما عائمَينِ في تيّارٍ ليس لإرادتهما وقرارهما أيّ صوت فيه، ودون أيّ لحظة تمهّل، يسحبهما أينما يشاء.

٤-٢. الخطيئة الأولى[1] والشعور بالذنب

إنّ الذنب من جهة له صلة وثيقة غيرقابلة للانفصام بوجود الإنسان في الوجودية المسيحية وبعبارة أخرى فهو حالة ثابتة للطبيعة البشرية (Resnick,1991: 18)، ومن جهة أخرى فيعتبره بعضُ أتباع هذه الفلسفة جزءاً من خيارات الفرد ويرون أنّ الإنسان في هذا العالم، مخيّر بالحرّية ومسؤول عن مصيره، عن مجتمعه وعن حياته وعليه أن يتحمّل مسؤولية

1. original sin

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

هذه الحرّية والذنب الذي يرتكبه بأفعاله. (كي‌يركه‌گور، ١٣٩٢: ١١١-١٠٧)

كما هو واضح أنّ الذنب وبسبب أهميته وعلاقته الوثيقة بالإنسان ووجوده يُعتبر من أهم المواضيع المطروحة في أذهان فلاسفة الوجودية وأنّ مسألة الشعور بالذنب سواء أكانت الناتجة عن مسؤولية الاختيار أم الناتجة عن فكرة الخطيئة الأولى، فهي من المواضيع التي تمّ تناولها بدرجة كبيرة في الأدب الوجودي مع مضامين أخرى كالوحدة، اليأس، القلق، الحزن، الفراغ والتشاؤم.

في رواية المحاكمة لكافكا، إذا ما استشعر أنّ الذنب أو الشعور بالذنب . وإن لم يعرف مصدره . قد حلّ بـ «جوزيف. ك»، ويمكن القول إنّنا نلاحظ أثر هذا الشعور في رواية «في المنفى» في باطن المعلم: «وَاسْتَسْلَمَ آخِرَ الْأَمْرِ إلى أَنَّ هُناكَ جُرْماً يَحُومُ حَوْلَهُ وَلاشَكَّ، وَكادَ يَعْتَقِدُ بِأَنَّه مُذْنِبٌ فِعْلاً، وإن كانَ يَجْهَلُ هذا الذَنْبَ رُغْمَ الْجُهُودِ الْمُضْنِيَةِ التي كان يَبْذُلُها عَبَثاً لِاسْتِبْعَادِ هذِهِ الْفِكْرَةِ عَن نَفْسِهِ.» (سالم، ١٩٦٢: ٩٢) يبدو أنّ كل شيء في هذه الرواية يسير بإتّجاه غاية وهدف قد خُطّط له من قبل، مصيرٌ لا أحد بإمكانه أن يتدخّل به؛ لا القاضي وهو مرجعاتّخاذ الأحكام ولا الشخص الذي يصدر الحكم عليه.

وإذا خالف سالمٌ كافكا في مكان ما في روايته وأشار بصراحةٍ إلى سبب اعتقال المعلم من منظور الناس وإذانسب إليه موتَ الطالب بسبب الغرق، واعتبر المعلمَ هو المسبّبُ في هذافهذه كلهالا تعني أيّ تغيير في الفرضية أعلاه، ولا تؤدّي إلى بطلانها. الفرضية التي تتجلّى بوضوح في حديث قاضي التحقيق أثناء تحقيقه مع المعلم حيث يؤيّد الكاتب مرة أخرى فكرة الارتماء والسقوط في عالم الوجود: «لا تَحْزَنْ. لَقَدْ حَكَمَ عَلَيْكَ أنْ تَأتِي إلى هذِهِ الْبَلْدَةِ، وَلَسْتُ أنا وَلا أنْتَ اللَذَانِ أصْدَرَا هذَا الْحُكْمَ، وَالْيَوْمَ تَحْكُمُ عَلَيْكَ الْبَلْدَةُ بِالْمَوْتِ، وَلَيْسَ لِأحَدٍ دَخْلٌ في ذلِكَ، فَلا تَأسَ.» (م.س: ١٠٠ . ٩٩)

في الصفحات الأخرى للرواية حين تقوم المرأة المغنيّة بالدفاع عن البطل وتشير إلى عدم ارتكابه ذنباً ما، يكتفي قاضي التحقيق في الرد عليها بجملةٍ واحدة: «لَيْسَ هُناكَ إنْسانٌ بَرِيءٌ.» (م.س: ١١٥) ومن هنا نفهم العلاقة الوثيقة بين خيوط أفكار جورج سالم والفكر المسيحي الوجودي. يعتقد هؤلاء الوجوديون أنّ النبي آدم (ع) عندما خالف أمر الله وتناول فاكهة شجرة العلم، دخل الذنب عالمَ الكون وأصبح جزءاً من وجود الإنسان. ونحن كلّنا شركاء في طبيعة الإنسان المائلة إلى الذنوب بسبب رجوعنا إلى آدم. فبالتالى نحن مذنبون بالفطرةونحتاج العفو والغفران دائماً. وهذا مايقال له «نظرية الخطيئة الأولى». (Mann, 2006: 47)

في هذا الإطار يعتقد البعض أنّ الإنسان حرّ إلى حدّما في الفوز على الذنوب، حيث أنّ هناك جهات معينة من طبيعة الإنسان كالجسم والدوافع الجسدية تتدمّر إثر الذنوب. (مجموعة من المؤلفين، د.ت: ٦٨) ويخالف هذه النظرةَ الفيلسوفُ الدنماركي سورين كيركغور[1] (١٨٥٥-١٨١٣). فإن أبحاثه في هذا الإطار تؤيّد أنّ الإنسان مذنب بشكل كامل. فبالتالي لايستطيع أن يخرج من مستنقع الذنوب مهما حاول وجهد.

1. Soren Kierkegaard

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

في رواية «في المنفى» إنّ المعلم بريءٌ حقيقة ولايشعر بالذنب إلّا بعد أن يعتقل فإنّ اعتراف مصادر القوّة والآخرين معاً بذنب بطل روايتي سالم وكافكا، يبيّن بشكل واضح نظرية «الخطيئة الأولى». وأما بالنسبة إلى رواية «المحاكمة» فإنّ الشعور بالذنب الذي يتكوّن في نفسية بطل كافكا تدريجياً، له تأثير أعمق وأكثر بدرجات من الشعور الذي نراه في بطل سالم. بشكل أصبحت هذه الفكرة همّه الدائم وملأت نفسَه وشلّت حياته.

إنّ المحكمة تطلق سراح «جوزيف. ك» ليستمرّ بحياته اليومي ويواصل عملَه في المصرف، ولكن من الطبيعي أن لا يمكن اعتبار هذه الظروف حريةً. «لأنّه خلال مواصلته الحياة التي تتبلور أكثر الأحيان في علاقاته مع النساء، لاينسى ولو لحظة، ملفّه في المحكمة. فهو يعتبر نفسه سجيناً ولا يمكنه التخلص من هذه الفكرة مادام يتردّد في المحكمة لإثبات برائته.» (عباسپور،١٣٨٣: ١٢٠) فإن سمح له بمعالجته للشؤون الأخرى، غير أنّ هذه حرية ليس لها اعتبار، ولا يمكن أن نسمّيها حرية.

نظراً إلى براءة بطلَيْ روايتَيْ سالم وكافكا وأنّهما لم يرتكبا جريمة، فإنّ شعورهما بالذنب يبيّن أنّ الذنب يرافق الإنسان دائماً كأساس الطبيعة البشرية والإنسان مذنبٌ بشكله الطبيعي وفي الظروف العادية. هذا من جهة ومن جهة أخرى يبيّن تأثّر الكاتبين بالوجوديين المسيحيين وأفكارهم.

٤-٣. سلطان الآخر على الإنسان وظهور الأزمة في فكر سالم وكافكا

الأنا منذ بدايات حياة الإنسان تشعر بعلاقتها مع الآخر، ومن ثم تنشئ سلسلة من الثنائيات لحياتها: الأنا والآخر، وهنا وهناك، والعدوّ والصديق ...إلخ. وهذه الثنائيات تعين الحدود بين الأنا والآخر. وهي الصورة التي تتشكل في ذهن الإنسان عن الآخر وترتبط بالمصالح المختلفة، وزمن الاتصال، وكيفيته ومداه، وهذه الصورة ممكن أن تتغيّر بمرور السنين واختلاف الظروف. (كاظم زاده، ٢٠١٣: ٧٤) إنّ العلاقة بين الذات و الآخر يفترض أن تؤسّس على الحوار البنّاء والتفاهم والمودّة ولكن هذه العلاقة قد تكون على النقيض من ذلک إذ يحاول الآخر أن يظهر في صورة العدوّ الذي يحاول رفض الطرف الآخر والانتقاض منه والنيل من معتقداته وقيمه، وتهديد وجوده، وهو ما يؤدي إلى التنافر والبغض والإنكار المتبادل ويتجلّى الآخر في صورة سلبية. الآخرون والذين دائماً كان لهم الحضور اللامع والمهمّ في ذهن ومخيلة أبطال سالم وكافكا، يبرزون بشكل رموز السلطة أو الممثّلين له، أو رجال القانون فيتبعون البطل وكثيراً ما يعتقلونه دون أيّ مبرّر وبشكل مفاجئ.

يبدو أنّ حقيقة الملاحقة والاعتقال هذه لم تكن شيئاً سويأنّها تجسيد لأزمات البطل. تلك المعاناة التي إما أن تكون داخلية ومتجذّرة في نفس الفرد أو أزمة خارجة عن طاقة الفرد وهي بعبارة أخرى إجتماعية أو ما يمكن القول أنّها سياسية. أزمة البطل الخارجية إمّا أن تكون نابّجة عن عدم إقامة علاقات مع الآخرين من قبله أو نتيجة لعدم القبول من جانب الآخرين أو ربّما لتفسّخ هذه العلاقة وزيفها. إذاً من الممكن أن يكون الملاحقة أو الاعتقال حقيقياً وقد يواجهه البطل في الحقيقة ويقابله، أو من الممكن أن يكون حالة نفسية والتي من الممكن أن يشعر بها البطل دون أن يكون لها أيّ مسوّغٍ أو

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

وجودٍ مادي وخارجي. إذاً فالملاحقة هذه أو الاعتقال حقيقيّةً كانت أو غير حقيقيّة، لها تبعات كالقلق والخوف، أو من الممكن القول أنّ هذه الملاحقة هي نتيجة هذه الأحاسيس.

على كلّ حال، يمكننا القول بأنّ في جميع الحالات فإنسلطان الآخر على الفرد حقيقةً لابدّ منها؛ لأنّه وكما يقول الوجوديّون لايوجد أيّ علاقة إنسانية لا ترى فيها سلطانالفرد على الآخر؛ فدائماً يسعى الإنسان أن يحدّ من حرية الآخر. (احمدي، ١٣٨٣: ٢٢٢) إنّ الشعوربالملكيةللآخر جعل المرءفي مواجهة الآخرين منذ البداية. إنّ المعلم في رواية سالم يكون تحت رقابة عمدة القرية، وبصورة عامّة تحت مراقبة المجتمع. ففي هذه الظروف يفقد مقاليد حياته. في رواية المحاكمة أيضا قد راقب «جوزيفَ. ک» السلطة الرمزية للمحكمة، حيث قد فسح ظلّها المشؤوم على كلّ لحظات حياته، وكما في رواية القلعة حيث سيادة القصر و مقرّبيه خاصةً «كِلام» –أعلى مقام القصر– كانت مشهودة على «ک».

هذا لا يعني أنّ سالم وكافكا يعتبران الآخرين جهنّماً وعذاباً؛ «إنّما الجحيم تلاقي الحدود وتطبيق واضطراب مدى ضياع الفرد بحيث لا يمكنه التفكير لحظة في الوصول إلى الصعيد السامي.» (جمادي، ١٣٨٢: ٢٠٠) إنّ الآخرين يُعتبَرون جزءاً لاينفك من وجود «أنا». فإنّ الكاتبين كانا قد شعرا بهذا الاحتياج بشدة. فمن المفروض بالنسبة لتعريق علاقة الفرد بالآخرين، كسر حواجز السيطرة على العلاقات البشرية خلال التفكير الهيدجري: «الهدوء فيمايتعلّق بالأشياء»[1] حتّى يتبلور شعور الاستقلال، و الكفاءة، والكرامة الإنسانية للبشر. «حيث يسمح البشر لكلّ شيء وكلّ شخصٍ أن يعرض نفسه كما هو، بدل أن يفرض إرادته عليه، فبهذا يمارس الانفلات عن إعراض انحصاره في مشاريعه الذاتية.» (منوچهري، ١٣٨٧: ٧١) إنّ هذا التفكير المتّجه إلى الأشياء، والمتجنّب لأيّ تحيّز وحكم مسبق واستعمال النزعة الاجتياحية، يعطي الحرّيّة للأشياء مهما كانت، ومن هذا المنطلق يسمح لها إمكانية حفظ «أنا» و ممانعة تغيير لغير «أنا». (هايدگر، ١٣٨١: ١٤)

ففي ظلّ العلاقة المتجذّرة الأصيلة بالآخرين، إنّ الذات يخرج من الانفراد والعزلة ويحقّق وجوده. إنّ سالم مع اعتقاده بهذا الموضوع، يعتبر «الحبَّ» بصفته أصلا للذات يعطي للوجود معنىً و مفهوماً، هو الطريق الوحيد للعلاقة بالآخرين: «اِسْتَطاعَ بِمَحَبَّتِهِ أنْ يُصْبِحَ إنساناً فِي هذِهِ الْبَلْدَةِ التي لَمْ تَعْرِفْ إلّا الْجُمودَ.» (سالم،١٩٦٢: ٧٦) يرى سالم أنّ اللحظة التي يفتح الإنسان أبواب وجوده أمام الآخرين بالحبّ، حينئذ يصبح الوجود ذا معنى وفحوى. في المقابل عندما يفقد البشر الحبّ، لن يبقى له سوى العلاقات اليومية، والسطحية وغير الأصيلة: «لقد جئتُ مُكْرَهاً إلى هذه البلدة... وهاأنَذا أذْهَبُ مُرْغَماً عَنْها... وبَيْنَ مَجِيئِي وذهابي وَمْضَةٌ صَغِيرَةٌ هِيَ تَعَرُّفِي بِكِ. وَلَيْسَ عَدا ذلِكَ كُلِّهِ إلّا الضِيقَ وَالرَتابَةَ وَالْمَلالَ وَالْعَبَثَ الذي تَعْرِفِينَ.» (م.س: ١٠٨)

فإنّ جورج سالم فضلاً عن أنّه لا يرى الآخرين مانعين لحريته؛ إنّما يعتقد أنّ حريته تتحقّق في ظلّ العلاقة العريقة والصحيحة بالآخرين فقط. إنّه باعتماده على هذا الاعتقاد، يسعى للعلاقة بالآخرين، لكن يواجه قوة تفرض سيطرتها

1. Gelassenheit

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

عليه، وتسعى بهذا الشكل لتحطيم أصالة هذه العلاقة التي هي من شروط الحرّية. فإنّ الحرّية تفرض على الإنسان أن يغيّر العالمَ باختياره وإرادته ويؤثّر في ظواهر العالم متحرّراً من قيود المرتكزات الوضعية والمبادئ المحددة من قبل، وأيضاً بعيداً عنأية سلطة اجتماعية أو سياسية أو دينية تسيطر على حياة الإنسان. فلهذا نرى سالم يثور ضد مصادر السلطة ويواجه الآخرين والمجتمع ليكسر طوق هذا الوجود المشوّه معهم ويبنى العلاقات على أصالتها.

٤-٤. الوجود الزائف والشعور بالاغتراب

عندما يتولّد الإنسان، يبدأ بالسعي في خلق العالم الخاصّ به. فإنّه بهذا السعي الدؤوب يحاول خلق عالم تحكمه علاقات الصداقة والحبّ والتعاون. فسرعان ما يدرك بأنّه كلّما يتقدّم كانت أهدافه أبعد من الحقيقة. فيبدأ اغترابه عن نفسه وعن العالم. فيمكننا القول أنّ الاغتراب ليس في ذات الأشياء أو الإنسان بل هو كامن في عدم إمكانية إقامة العلاقة بينهما. فإنّ السبب لهذا الاغتراب هو التناقض بين نفس الإنسان والعالم الخارجيّ، وبين ما هو موجود وما هو يجب أن يكون، وبين ما يمتلكه وما يتمناه، وبين عالم الآخرين وعالمه. «فيُخفِق الإنسان في تحقيق التوازن بين الواقعية والإمكان، ويشعر بالانفصال عن واقعه ويعجز عن التكيّف مع المجتمع الّذي يعيش فيه وهذا يعنى الاغتراب.» (أميري والآخرون، ٢٠١٣: ٧٢) وبمعنىً آخر، فالاغتراب هو «تعبير عن التوتّر والقلق النفسى، وضياع الذات أو استشعار الخوف من فقدان الأمن والأمان، والتواصل مع الجوهر الطبيعي.» (جمعة، ٢٠١١: ٢٤) وعندما يبتعد الإنسان عن ذاته وجوهره البدائي شيئاً فشيئاً، فهذا الوجود الزائف يفصله عن اختياراته الذاتية وإمكانياته الخاصة، ويسقط الفرد في حالة الاغتراب التي يتحوّل فيها وجوده إلى شيء غريب عنه. وهذا ما يتّضح لنا في رواية سالم فهو الركيزة الرئيسية لهذه الرواية.

في المجتمع الذي يصوّرها سالم في روايته، فإنّ الشخصيات يعيشون بهويّاتٍ مزيّفة وبوجود غير أصيل وقد انتفت في هذا المجتمع القيم والمعايير الإنسانية. وكلّ شخص يمتلك عالمه الشخصي دون الآخرين، ففي هذه العوالم لايرجي أيّ تعايش وتجاوب وتفاعل مع الآخرين: «إنَّ وُجُوهَ النَاسِ فِي هذه الْبَلْدَةِ غائِرَةٌ إلى الداخِلِ. لَمْ أرَ أحَداً يَبْسِمُ لِي حَتّى الْيَوْمِ، وَإذا صَادَفَ أنْ إبْتَسَمَ إنسانٌ فَإنَّمَا يَبْتَسِمُ لِذاتِهِ وَفِي أعْماقِ ذاتِهِ... إنَّهُمْ يَبْدونَ لِي مُنْطَوِينَ عَلى أنْفُسِهِمْ فِى هذه الْبَلْدَةِ الْمُنْطَوِيَةِ عَلى نَفْسِها كَأنَّها كَوْكَبٌ وَحِيدٌ فَرِيدٌ لايَرْبُطُ بِسِواه إلّا بِرَبْطَةِ التَشابُهِ الْواهِيَةِ وَكُلُّ إنسانٍ فِيهِ كَوْكَبٌ مُنفَرِدٌ يَدُورُ صامِتَاً فِي مَدارِهِ الْمَحْدُودِ.» (سالم، ١٩٦٢: ٢٥)

وساليتبع كافكاويصوّر في روايته اغتراب الإنسان في المجتمع البورجوازي الرأسماليّ تصويراً لا أصدق ولا أذكى، تصويراًينم عن فهم عميق لطبيعة هذا المجتمع وللعلاقات الاجتماعية الّتي تربط بين أفراده. (جانجي، ١٩٧٤: ١٦٠) فالصلات الّتي تشدّ الناس بعضهم إلى بعض قد زالت واختفت وبات المرء يشعر بأنّه يعيش في غربة وعزلة تامة: «مُغْلَقٌ عَلى نَفْسِهِ، مُغلَقٌ عَلى نَفْسِهِ إلى أبْعَدَ حَدٍّ...أشْبَهُ شَيْءٍ بِجِدارٍ كَثِيفٍ لاسَبِيلَ إلى اخْتِراقِهِ.» (سالم،١٩٦٢: ٣٤ و ٣١) إنّه وحيد يجابه مجتمعاً يكشف في كلّ لحظة عن لا إنسانيته. فمجهولية بطل رواية سالم والشخصيات الأخرى كالعمدة والمغنية، وصاحب المقهى، والتلميذ، والتعرّف عليهم عبر الوظائف الّتي يمارسونها يبيّن الشعور بالاغتراب في الإنسان أكثر فأكثر.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

عندما يتمّ القبض على المعلّم في قرية يسودها عدم الانفعال، واللامبالاة، والعزلة، لايتغيّر شيء، فالمدرسة تواصل دوامها كالمعتاد ويقوم أحد المعلمين بتدريس صفّه وصفّ المعلم معاً. (ص ٩٢) هذا يشابه رواية كافكا: فلايهتمّ أحد بغياب «جوزف. ك» بعد إلقاء القبض عليه ويقوم السكرتير بإنجاز أعماله في المصرف. وربما كانت الرواية، بترسيم هذا الشكل من اللامبالاة، تهدف إلى الإيحاء بحقيقة عدم اكتراث المؤسسات المختلفة بالأفراد ومصيرهم في المجتمعات الحديثة، وتعكس عدم أهمية الأفراد فی نطاق العمل الدولابي للدوائر والمؤسسات.

إنّ اغتراب البطل في رواية «في المنفى» لايتجلّى بسبب غربته وعزلته فی غير موطنه وبالتالي عدم نجاحه في التواصل مع الناس إثر عدم قبولهم له فحسب، بل يتجلّى أكثر بسبب نظام السلطة وتأثيرها على حياة الإنسان. في عالمٍ عارٍ من العطوفة ومليءٍ بالعنف لايقيمون لاختيار الإنسان وزناً، يحاكم فيها إنساناً بريئاً بسبب مجهول، فإنّ رفضَ البطل للقيم السائدة في المجتمع بغية نضاله ضد السلطة والقوّة السائدة، ومحاولتَه لإقامة العلاقات مع الآخرين، كلّ هذا يبيّن حاجة البطل إلى التحرّر من الروتينية ومن قبول السلطة وبالتالي إنجاز حريّته حتّى يصون الـ: «أنا» وذاته الفرديّ.

في رواية «المحاكمة» لكافكا، تشعر شخصيات الرواية بالاغتراب بعضهمعن بعض، لا في مكان غريب، بل في متاهات الهجرة والتيه اللانهاية لها. وهذا الشعور لدى الإنسان يتّضح في هذه الرواية عن طريق هيكلية السلطة وسيطرة الحكم البيروقراطي للدوائر والمؤسسات المختلفة على حياة الإنسان. فقاعات المحكمة وعملية محاكمة «جوزيف. ك» بطل الرواية، تُعتبر الهجرة والحيرة في دروب الضياع وتنتهي إلى الشعور البحت بالاغتراب بالنسبة إلى الآخرين.

في مثل هذا المجتمع الذي يشعر فيه سالم وكافكا باغترابتام، فإنّ عدمَ القدرة على فهم الأمن والاستقرار تحت ظلّ المؤسسات الاجتماعية وسيادتها، وخيبةَ الأمل لتكوين العلاقات مع الآخرين، هذه الأمور تجلب للكاتبين الشعور بعدم الحضور في الوطن، والمهجورية، و «الشعور بالبعد عن المأمن الحقيقي». وكأنّما هما يبحثان عن سبب وجودهما في «لامكان» لايجدان فيه أيّ صلة مع الآخرين.

نتائج البحث

لقد توصّلنا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

أولاً: إنّ الأفكار الوجودية التي برزت في روايتَی كافكا «المحاكمة» و «القلعة»هي كالآتي:

١.إنّ الإنسان طُرِح إلى هذا العالم دون أن يختار لنفسه الوجود.

٢.إنّ الذنب باعتباره حالة ثابتة لطبيعة البشر له صلة لا ينفكّ بوجود الإنسان.

٣. لا يوجد أيّ علاقة إنسانية بمعزل عنسلطة الآخر على الفرد.

٤.الإنسان لا يحقّق استقلاليتهبناء على ما يراه هو باختياره وبحريته، وإنّما يحدّد وجودَه الآخرون ومشيئتهم فينتقل الإنسان إلى الوجود الزائف ونتيجةً لذلک، فيقع في حالة من الفقدان المرّ لشخصيته وحريته الخاصّة، ويغترب عن ذاته

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

الحقيقية المبنية أساساً على اختياراته، وشعوره بذاته المستقلّة.

ثانياً: تعكس رواية «في المنفى» تأثّر كاتبها بكافكا وأفكاره من خلال عوالمها والمواضيع التي تعالجها فهي كما يلي:

١.يرى جورج سالم أنّ الإنسان قد طُرح إلى عالم الوجود دون أيّ إرادة واختيار. فهذا الاعتقاد يطابق فكرة الارتماء في رواية «القلعة» لكافكا. فإنّ البطل في الروايتين، قد انطلقا بلا إرادة في قرية قد فرض هناك كلُّ شيء عليهما. وفي النهاية اضطرّا الى الخضوع أمام الحوادث والمسايرة معها.

٢.في رواية «في المنفى» كرواية «المحاكمة» لكافكا، إنّ الذنب يعتبر مصدراً وأساساً للطبيعة البشرية، ويذكّر بفرضية «الخطيئة الأولى» في الفكر الوجودي المسيحي، على أن الشعور بالذنب عند بطل كافكا في «المحاكمة» يأخذ لذاته شكلاً مخرّباً رادعاً ويبدو أعمق وأبعد أثراً في حياة البطل.

٣.إنّ الأزمة لدى الكاتبين تنشأ من علاقة البطل بالآخرين وبعبارة أخرى تنتج عن حالة الاضطهاد والسلطة التي يجد فيها البطلُ نفسَه أو يحسّها مجسّدة من ناحية أخرى.

٤.في رواية «في المنفى»، مع وجود سلطةٍ يواجهها البطل وتتجسّد في الآخرين لكنّ سالم متأثّر بكافكا وعلى أساس حقيقة الحرّية في الفلسفة الوجودية، لا يرى الآخرين مانعاً لحرية الإنسان فحسب بل يؤمن بأنّ تحقيق الحرّيّة لا يتمّإلّا عن طريق العلاقة الأصيلة والصحيحة بالآخرين مبنيةً على المحبّة. فإنّ تمرّده على التقاليد والقيم السائدة في المجتمع و الصراع مع السلطة الحاكمة على حياة الإنسان أيضاً تكون بهذا الصدد.

٥.إنّ جورج سالم متأثّر بأفكار كافكا المتمثّلة في رواية «المحاكمة»، يعكس في روايته «في المنفى» اغتراب الإنسان في مجتمع بورجوازي في ظلّ البيروقراطية ويبيّن كيف أنّ هويّة الأشخاص ومصيرهم يتم تجاهلهما تحت ضغوط العمل الروتيني للدوائر والمؤسسات.

٦.في رواية «في المنفى»يكشف الكاتب عبر البطل عن فكرة أنّ الوجود الزائف يفصل الشخصَ عن اختياراته الذاتية وإمكانياته الخاصة، ويجعله تابعاً لإرادة الآخرين، فيسقط في حالة الاغتراب التي ينعزل فيها عن ذاته ويتحوّل وجوده إلى شيء غريب عنه، وبهذا يؤكد سالم العلاقة الوثيقة بين خيوط أفكاره والفكر الوجودي المتمثّل في روايات كافكا ولاسيّما رواية «المحاكمة».

- **المصادر والمراجع**

الف: الكتب

١. ابن ذريل، عدنان (١٩٧٣م). الرواية العربية السورية. دمشق: مطبعة الآداب والعلوم.

٢. احمدي، بابك (١٣٨٣ش). سارتر كه مى‌نوشت. طهران: نشر مركز.

٣. إلهي، محمودرضا (بى‌تا). دىباچه بر فلسفه وجود. لامک: مؤسسه مطبوعاتى علمى.

٤. أميني، حسين (١٣٨٦ش). فلسفه پوچى. مشهد: كنكاش دانش.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

٥. بدوي، عبدالرحمن (١٩٨٠م). دراسات فى الفلسفة الوجودية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٦. جمادي، سياوش (١٣٨٢ش). سيرى در جهان كافكا. طهران: ققنوس.
٧. خانلري، زهرا (١٣٧٥ش). فرهنگ ادبيات جهان. طهران: انتشارات خوارزمى.
٨. الخطيب، حسام (١٩٩١م). سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصّة السورية. ط ٥. دمشق: مطابع الإدارة السياسية.
٩. سالم، جورج (١٩٦٢م). في المنفى (رواية). بيروت: منشورات عويدات.
١٠. عباسپور، مرادحسين (١٣٨٣ش). كافكا روايت‌گر تراژدى مدرن. اهواز: نشر رَسِش.
١١. فلكي، محمود (١٣٨٧ش). بيگانگى در آثار كافكا. طهران: نشر ثالث.
١٢. قرباني، سروش (١٣٧٥ش). دايرةالمعارف مشاهيرجهان. طهران: انتشارات ميلاد.
١٣. كافكا، فرانتس (١٣٧٠ش). محاكمه (رمان). ترجمه اميرجلال الدين اعلم. طهران: كتاب‌سرا.
١٤. كافكا، فرانتس (بى‌تا). قصر (رمان). ترجمه عبدالرحمن صدريه. لا مک.
١٥. كي‌يركه‌گور، سورن (١٣٩٢ش). مفهوم ترس آگاهى. ترجمه منوچهر اسدى. اصفهان: نشر پرسش.
١٦. مجموعة من المؤلفين (د.ت). معنى الوجودية. بيروت: دار مكتبة الحياة.
١٧. مک‌كواري، جان (١٣٧٧ش). فلسفه ى وجودى. ترجمه محمدسعيدحنايى كاشانى. طهران: هرمس.
١٨. منوچهري، عباس (ش ١٣٨٧). مارتين هايدگر. طهران: دفتر پژوهش‌هاى فرهنگى.
١٩. هايدگر، مارتين (١٣٨١ش). شعر، زبان وانديشه رهايي. ترجمه عباس منوچهرى. طهران: انتشارات مولى.
٢٠. ورنو، روژه وآخرون (١٣٧٢ ش). نگاهى به پديدارشناسى و فلسفه‌هاى هست بودن. ترجمه يحيى مهدوى. طهران: انتشارات خوارزمى.
21. Mann,William E. (2006), Augustine on Evil and Original Sin, in Stump, Eleonore& Kretzman,Norman(eds.),The Cambridge Companion to AUGUSTINE, Cambridge University Press.

ب: المجلات

٢٢. أميري، جهانگير والآخرون. (٢٠١٣م).«نبرات الحزن والاغتراب في شعر مهدى أخوان ثالث ومظفر النوّاب». مجلة دراسات في العلوم الإنسانية الدولية، جامعة تربيت مدرّس. المجلد ٢٠. العدد ٣. صص ٧١-٩٣.
٢٣. جانجي، موريس (١٩٧٤م). «قراءة جديدة لرواية في المنفى». مجلة المعرفة. سورية. العدد ١٤٦. صص ١٥٦-١٦٤.
٢٤. جمعة، حسين (٢٠١١م).«الاغتراب في حياة المعرّى وأدبه». مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧. العدد الأوّل. صص ١٧-٧٤.
٢٥. فونتين، جان (١٩٩٠م).«النثر القصصي المعاصر في سورية». ت.ناجي الدراوشة. مجلة الموقف الأدبي. اتحاد الكتّاب العرب بدمشق. السنة ٢٠. الأعداد ٢٢٩ إلى ٢٣٣. صص ٣٨-٤٨.
٢٦. قبادي، حسينعلي و توماج‌نيا. جمال الدين (١٣٨٦ش).«ادبيات و بحران‌هاى فكرى و اجتماعى در قرن بيستم با تأكيد بر نيهيليسم و اگزيستانسياليسم». كتاب ماه ادبيات. ش ٢. والمتوالى:١١٦. صص ٣٦-٤٤.
٢٧. كاظم زاده، فاطمة والآخرون. (٢٠١٣م). «صورة الآخر في رواية" قبل الرحيل" ليوسف جاد الحقّ». مجلة دراسات في العلوم الإنسانية الدولية، جامعة تربيت مدرّس. المجلد ٢٠. العدد ١. صص ٧٣-٨٨.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

28.Resnick, Irven M (1991), Odo of Tournai's De peccato originali and the Problem of Original Sin, Medieval Philosophy and Theology, Volume 1, pp.18-38.

References

A: Books

1. Ibn Zorayl, A. (1973). Syrian Arabic novel. Damascus: Matba al-Adabvaal-Olum
2. Ahmadi, B. (2004). When Sartre was writing. Tehran, Markaz.
3. Elahi, M.R (NA). A prelude to existential philosophy. Academic Press Institute.
4. Amini, H. (2007). The philosophy of emptiness. Mashhad: Kankashe-e Danesh.
5. Badawi, A.R. (1980).Drasat fi alflsfahaloujoudiah. Beirut: Arabic Institution for Studies and Publishing.
6. Jamadi, S. (2003). An exploration of Kafka's world. Tehran: Ghoghnous.
7. Khanlari, Z. (1996). An encyclopedia of world literature. Tehran: Khwarizmi.
8. Khatib, H. (1991).Sblalmouthratala'jnbiahwa'shkalha fi alksahalsouriah (Fifth Edition). Damascus: Political Printing House.
9. Salem, G. (1962). In exile (Novel). Beirut: Owaidat publications
10.Abbaspoor, M. (2004). Kafka as the narrator of the modern tragedy. Tehran:RaseshPublication.
11.Falaki, M (2008). Alienation in the works of Kafka. Tehran: Sales.
12.Ghorbani, S. (1996). Encyclopedia of world figures. Tehran: Milad
13.Kafka, F. (NA). Palace (novel). Translated by AbdolRahman Sadriyeh.
14._____(1991),The Trial (novel).Translated by Amir Jalal al-Din Alam. Tehran:Ketabsara
15.Kierkegaard, S. (2013). The concept of fear-consciousness. Translated by ManouchehrAsadi. Isfahan: Porsesh
16.A group of authors (NA). The concept of existentialism. Beirut: DārMaktabat al-Ḥayāh.
17.Macquarie, J. (1998).Existential philosophy. Translated by Mohammad Saeed HanaeiKashani. Tehran: Hermes.
18.Manouchehri, A. (2008). Martin Heidegger. Tehran: Cultural Research Bureau.
19.Verneuil, R. et al. (1993). A glance at phenomenology and existential philosophy. Translated by YahyaMahdavi. Tehran: Khwarizmi.
20.Heidegger, M. (2002).Poem, language and emancipation. Translated by Abbas Manouchehri. Tehran: Moli.
21.Mann,William E. (2006), Augustine on Evil and Original Sin, in Stump,

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

Eleonore& Kretzman,Norman(eds.),The Cambridge Companion to AUGUSTINE, Cambridge University Press.

B: Magazines

22.Amiri, Jahangir &partners. (2013). Tones of sadness and alienation felt in Mehdi Akhavan Sales and MothafarAlnawab Poetry. International Journal of Studies in Human Sciences. Tarbiat Modarres University. 20 (3). 71-93.

23.Jangi, M. (1974). A new readingof the novel "In exile". Al-Marefah Journal. Syria, 146, 156-164.

24.Jomeh, Hussain. (2011). El.Aghtrab Fi Mry life and Adbh. Damascus University Magazine. Volume27. N1-2. 17-74.

25.Fontaine, J. (1990). Contemporary prose fiction in Syria. Translated by Naji al-Daravish. Al-MoghoufAdabi Journal. Arab Writers Association in Damascus, 20 (229 -233), 38-48.

26.Ghobadi, H.A. &Tomajnia. A. (2007). Literature and intellectual and social crises in the twentieth century with an emphasis on nihilism and existentialism. Literature Monthly, 2, 36-44

27.Kazemzadeh, fatima&partners. (2013). The Aspect 'Other' in the Novel Qabl al-Raheel by Yusuf Jad a-Haq. International Journal of Studies in Human Sciences. Tarbiat Modarres University. 20 (1). 73-88.

28.Resnick, Irven M (1991), Odo of Tournai's De peccato originali and the Problem of Original Sin, Medieval Philosophy and Theology, Volume 1, pp.18-38

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

The reflection of George Salem's impressibility of Kafka's existentialistic thoughts in the novel "In exile"

Monireh Zibaie*

.Assistant Professor in Arabic Language and Literature at Islamic Azad University of Mashhad and PhD in Arabic Language and Literature Ferdowsi University of Mashhad.

Abstract

Kafka's novels are one of the Western novels that contemporary Arabic literature through it became familiar with the philosophy of existentialism and its principles. George Salem, a Syrian writer who was influenced by existentialism, read Kafka's novels and was influenced in the novel "In exile" from his thoughts. This article follows and reveals the thoughts in the novel "In exile."

Using an adaptive method, the present research studies Salem's novel "in exile" and compares it with Kafka's Palace and Trial and aims to reveal Salem's impressibility from Kafka's works and existential thoughts .

Based on result, George Salem believes that human without any optional thrown into existence So that he finds himself in a certain situation. Influenced by Kafka's works which instill existentialist concepts, the Syrian writer focuses in the first part of his novel on Kafka's novel "Palace" by relying on falling to the ground theme and in the second part relating to one's dominance on an individual he focuses on Kafka's novel "Trial". George survives Kafka reflects the existential topics in the novel 'In exile', Concepts such as original Sin, Guilt and human alienation.

Keywords: existential thoughts, George Salem, in exile, Kafka, get falling to the ground

* E-mail: Monireh.zibayi@yahoo.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]

نمود تأثیرپذیری جُرج سالم از افکار وجودگرایانه کافکا در رمان «فی المنفی»

منیره زیبائی *

استادیار گروه زبان و ادبیات عرب دانشگاه آزاد مشهد، مشهد، ایران

تاریخ وصول: ۱۳۹۴/۱۲/۲۳ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۶/۲/۴

چکیده:

رمان‌های کافکا یکی از مهمترین آثاری است که ادبیات معاصر عرب از طریق آن با فلسفه وجودگرایی و اصول آن آشنا گردید. جرج سالم نویسنده معاصر سوری با مطالعه این رمان‌ها از فلسفه وجودگرایی تأثیر پذیرفت و افکار و اندیشه‌های کافکا در رمان او منعکس گشت. مقاله حاضر این خطوط فکری را در رمان «فی المنفی» سالم دنبال و آشکار می کند. این مقاله با رویکردی توصیفی ـ تحلیلی و با تکیه بر نمونه‌هایی از رمان «فی المنفی» به بررسی مفاهیم اگزیستانسیالیستی آن و سپس مطابقت آن‌ها با بخش‌هایی از رمان‌های کافکا می‌پردازد و از این رهگذر درصدد است تا تأثیرپذیری سالم را از آثار و افکار اگزیستانسیالیستی کافکا بیان نماید. یافته‌های پژوهش نشان می‌دهد که به باور سالم، انسان بی‌آنکه اراده کند به این جهان پرتاب شده و خود را در وضعیت وجودی خاصی می‌بیند. وی در بخش نخست رمان خود با تمرکز بر اندیشه «پرتاب‌شدگی» بر رمان «قصر» کافکا و در بخش دوم آن با تکیه بر تم «سلطه دیگری بر انسان» و تصویر این اندیشه از طریق شخصیت‌های رمان، بر «محاکمه» کافکا نظر دارد و به مانند کافکا مؤلفه‌ها و مبانی اگزیستانسیالیستی چون اندیشه گناه نخستین و احساس گناه ناشی از آن، غربت و بیگانگی انسان را در رمان «فی المنفی» به تصویر کشیده است.

کلیدواژه: اندیشه‌های اگزیستانسیالیستی، کافکا، قصر، محاکمه ، جُرج سالم، فی المنفی

* E-mail: Monireh.zibayi@yahoo.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1439.24.1.2.0]